

اي انه اعتبر اصالة التاء وزيادة الالف .
وكذلك فعل الجوهري اذ وضعه في مادة
« نمر » .
قال الفيروزآبادي : « وزنه تفعلول فهو وضع
ذكره امر لا كما توهم الجوهري (147) »
ن - قال الفارابى : « الصيعرية سمة في عنق
البعير (148) »
وقال الجوهري « الصيعرية سمة في عنق
البعير » (149)
قال الفيروزآبادي : هي سمة في عنق الناقة لا
البعير (150) .
س - قال الفارابى : الخيال ارض لبنى تغلب
وقال :
لمن طلل تضمنه ائمال
فسرحة فالمرانة فالخيال (151)
وقال الجوهري : الخيال ارض لبنى تغلب ،
قال الشاعر :
لمن طلل تضمنه ائمال
فسرحة فالمرانة فالخيال (152)
قال الفيروزآبادي : واما اسم الموضوع
فبالشين والجم (شرجة) .
وغلط الجوهري .. والخيال تصحيف وانما هو
الخيال لخيال الرمل ... (153)

وقال الجوهري : « ويقال للجلدة التي بين
العين والانف سالم (136) »

قال الصاغاني : « وهذا غلط . وقد تبع خاله
الفارابى في اخذ اللفظة عن معنى
الشعر » (137)

ي - قال الفارابى : « غضبى مائة من الابل وهى
معرفة لا تخلفها الالف واللام » (138)

وقال الجوهري : وغضبى مائة من الابل
وهى معرفة لا تتون ولا تدخلها الالف
واللام (139) .

وقال الفيروزآبادي : « قول الجوهري
تصحيف والصواب غضيا بالمشاة تحت » .

ك - قال الفارابى : المزج : الشهد (140)

وقال الجوهري : المزج : العسل (141)

قال الفيروزآبادي : وغلط الجوهري في
فتحه (142) .

ل - قال الفارابى في كتاب المهموز : « انخسته
ضربت ياتوخه » (143)

وقال الجوهري في باب الخاء فصل الهزمة :
« انخسته ضربت ياتوخه » (144)

قال الفيروزآبادي : وغلط الجوهري في ذكره في
المهموز لان الاصل يفتح (145)

م - ذكر الفارابى « التامور » بمعنى الدم في بناء
« نامول » من السالم (146)

- (144) مادة أمخ .
- (145) مادة أمخ .
- (146) و 77 .
- (147) مادة أمر .
- (148) و 19 .
- (149) مادة صمر .
- (150) مادة صمر .
- (151) و 326 .
- (152) مادة خيل .
- (153) مادة سرح .

(136) 22/6 . ويعنى بذلك قول الشاعر :

يديرونتى عن سائم واريفه
وجلدة بين العين والانف سالم

(137) سلم

(138) و 102

(139) غضب .

(140) و 11

(141) مادة مزج .

(142) مادة مزج .

(143) و 394 .

ع - قال الفارابي : ويقال بهتة اذا قال عليه ما لم يعمله . وقالوا في قول ابي النجم لابنته حين هذاها لزوجها :

سبى الحماة وابهتني عليها

ثم اضربى بالود مرفقيها
ان على متحمة معناه وابهتني لانه ليس من كلام العرب بهت عليه انما كلامهم بهتة كما قلنا
اولا (154).

وقال الجوهري : وتقول ايضا بهتة بهتتا وبهتتا وبهتانا فهو بهتات اي قال عليه ما لم يعمله فهو مبهوت . واما قول ابي النجم :

سبى الحماة وابهتني عليها .

فان « على » متحمة لا يقال بهت عليه وانما يقال بهتة (155)

وقال السيريزابادي : الصواب فاتهتني عليها (156) .

ومعنى هذا ان الفارابي والجوهري يشتركان في كثير من الاشياء ، بل اتنا نجد احيانا ان اللفظ هو اللفظ والشرح هو الشرح .

ويتضح من هذا وجه الشبه الكبير في المادة اللغوية بين الصحاح وديوان الادب . فما معنى هذا ؟ وما تفسيره ؟

1 - اول ما يتبادر الى الذهن ان الجوهري : قد استعان بديوان الادب مباشرة في تأليف معجبه الصحاح ، وانه اخذ عنه كثيرا من مادته اللغوية ، مما أدى الى هذا التشابه بل التماثل في بعض الأحيان .

وهذا الاحتمال وان كان مقبولا إلا أنه يسلمنا إلى مشكلة لا يمكن حلها إلا بتجريح الجوهري واتهامه بالسطو والسرقة . فما دام الجوهري قد استعان بديوان الادب في جيع مادته اللغوية ، فلماذا خلا الصحاح من اسم الفارابي ، ولم يرد ضمن هذا الحشد الحاشد من العلماء الذين أخذ عنهم الجوهري ونكروهم في صحاحه ؟

ان الفارابي من نقلة اللغة الثقات الذين لم يوجه اليهم الدارسون أي مطعن، وقد تقبل العلماء المتأخرون معجبه « ديوان الادب » بالرضا والقبول ، واعتمدوا عليه مباشرة في تحصيل مادتهم اللغوية (157)

والجوهري في صحاحه ينقل عن اساتذته المباشرين - من طبقة الفارابي - كاسى على الفارسي ، وأبى سعيد السيراني ، وهو وإن كان لم ينقل عن الأول إلا بعض مسائل نحوية أو تصنيفية ، فهو قد نقل عن الثاني (159) ببعض مسائل اللغة . فلماذا لم يذكر اسم خاله ؟

(154) و 148

(155) مادة بهت .

(156) مادة : بهت .

(157) من هؤلاء الذين صرحوا بالنقل عنه : الثعالبي في « فقه اللغة » والصاغاني في « العباب » وفي « التكملة » والسيوطي في كتابه « الزهر » والقول المجمل في الرد على المهمل » والفقيومي في « المصباح المنير » وابن مالك في « اكمال الاعلام بتلخيص الكلام » وابن الطيب الفاسي في « اضاءة الراموس » ، وغيرهم ... وغيرهم .

(158) كاعتبار « صداء » مُغَلَّاء من المضاعف ، وتحليل صحة الواو في « عواور » مع قربها من الطرف بان الياء المحذوفة للضرورة مرادة ، فهي في حكم ما في اللفظ . فلما بعدت في الحكم من الطرف لم تقلب همزة . وغير ذلك .

(159) كقوله وعجين أنبجان اي مدرك منتفخ - وهذا الحرف في بعض الكتب بالخاء المعجمة وسماعى بالجيم عن ابي سعيد وأبي الفيث وغيرهما . وقوله :

وكانت العرب تسمى يوم الاثنين « أمون » في اسمائهم القديمة . انشدني ابو سعيد السيراني ، قال انشدني ابن دريد لبعض شعراء الجاهلية :

أؤمل ان أعيش وأن يومى

أم التالى كَبَّار أم فيومى

وقوله :

وقد انتسى العظم اذا برىء من كسر كان به . هكذا امرأته ابو سعيد في المصنف .

واستأذنه الفارابى ، فهو قد أخذ عنه نظام الباب والفصل كما سبق أن بينا ، ولا شك — بعد ذلك — فى أن استأذنه منه لا تقل عن استأذنه من أبى على الفارابى وأبى سعيد السيرافى ، ولا شك أيضا أن ملازمته له تتوق ملازمته لهذين الاستاذين ، بل لا شك أن الفارابى هو صاحب المنخل الأول على الجوهري وأنه هو الذى علمه ولقنه علوم اللغة وخلف له من بعده اثرا لغويا ضخما هو « ديوان الادب » ، فمن اولى منه بالذكر ؟ ومن احق غيره بالتخليد ؟

ونحن ، بعد هذا ، لا نوافق كرنكو فى قوله : انه ليس فى الصحاح للجوهري شيء الا نجده فى ديوان الادب ، فالصحاح — حتى على أسوأ الفرضيين بالنسبة للجوهري — أوسع مادة وأكثر كما من « ديوان الادب » ، وهو يحتوي على زيادات كثيرة لا نجدها فى ديوان الادب كما أثبتنا من قبل . وأظنه لو عكس القضية وقال : « ليس فى ديوان الادب شيء الا نجده فى الصحاح » لكان يثرب إلى الصواب وأدنى الى الحقيقة ، وان كان هذا الحكم كذلك ليس على عمومه ولا يصدق على اطلاته ، فهناك أشياء فى ديوان الادب ليست فى الصحاح كما تبيننا سابقا .

والخلاصة أن الصحاح متأثر بديوان الادب فى نظامه وفى مادته اللغوية ، وأنه استعاد منه كثيرا — مباشرة أو بالواسطة — وان اشتمل على زيادات كثيرة ليست فيه .

وقد احس بهذه الاستفادة الصاغاسى من قبل فنبه فى أكثر من موضع من كتابه « التكملة » على ذلك . كما ادركها الفيومى فإشار إليها أكثر من مرة فى معجمه « المصباح المنير » (160)

(يتبع)

لا تحليل لذلك على هذا الفرض الا سوء نية الجوهري ومحاولة تضليله للباحثين وتمصله من التبعية لخاله وتمغينه على آثارها . وما أشبه صنيع الجوهري مع خاله الفارابى حينئذ بما يفعله بعض الباحثين الآن حين يقع على كتاب مهم فى موضوعه — سواء فى لغته أو فى لغة أخرى — فيفتخر من معينه وينهل من مورده ثم يغفل ذكر اسمه فى المراجع — مع حرصه على ذكر التائه منها — حتى لا ينكشف أمره ، أو يفتضح سره ؟

2- إما الفرض الثانى فهو ان الجوهري لم يأخذ عن ديوان الادب مباشرة ، وإنما أخذ عن أصوله ومراجعته الاولى . فهو قد تلقى اللغة من الفارابى ، وجلس منه مجلس التلميذ ، ومن الطبيعي أن يكون بجانبه وهو يؤلف ويكتب ، ومن الطبيعي أيضا ان يطلع على مراجعته وأصوله ، ومن الطبيعي كذلك ان يعينه فى بحثه ويساعده فى لم مادته وجمع شاردها وردها الى أصولها . أي ان الجوهري كان حاضرا اوقات جمع الكتاب وأخراجه ، وكان كل شيء يتم تحت سمعه وبصره ، وعلى بينة منه . وهو بعد ذلك قد كتب نسخة من « ديوان الادب » بخطه وقراها على مؤلفها ، وتدارسها معه ، وناقشها فيها فحينما يشرع الجوهري فى تأليف معجم لنفسه لا يعجزه أن يجمع المراجع الذى أخذ منها خاله ، ولا تعوزه الأصول ، وقد رأى كثيرا منها بين يديه ، وطلب فيها وقرا بعضها على استأذنه .

ولكن هذا لا يخلى الجوهري من الظنة ولا يذفع عنه التهمة ، فقد كان عليه — سواء أخذ مادته من ديوان الادب مباشرة أو بالواسطة — أن يذكر خاله

(160) انظر مثلا مادة سدد ، وفوش .

الوقف على المختوم بالتاء وطبيعة ذلك الوقف

الدكتور أحمد كاشك
مدرس بدارالعلوم - القاهرة

بين هذه التاء والتاء التي هي من نفس الحرف نحو تاء سينة وتاء عفرية وكذلك التاء في بنت .. وتاء الجميع اقرب الى التاء التي هي بمنزلة ما هو نفس الحرف من تاء طلحة لان تاء طلحة كأنها منفصلة وزعم أبو الخطاب ان ناسا من العرب يقولون في الوقف طلحت كما قالوا في تاء الجميع قولا واحدا في الوقف والوصل « (1) ويقول ابن يعيش : « متى كان آخر الاسم تاء التانيث من نحو طلحة وحمزة وقائمة وقاعدة كان الوقف عليه بالهاء .. وذلك في الرفع والنصب والجر والذي يدل ان الهاء بدل من التاء انها تعتبر تاء في الوصل، والوصل مما ترجع فيه الاشياء الى اصولها والوقف من مواضع التغيير ... على ان من العرب من يجري الوقف مجرى الوصل ، فيقول في الوقف هذا طلحت وهي لغة فاشية حكاها ابو الخطاب « (2) .

من قضايا اللغة :

درج اللغويون في حديثهم عن الوقف على المختوم بالتاء ان يقولوا بان الوقف له علامة خاصة هي تحويل هذه التاء الى هاء تسمى هاء التانيث . فما نحيب هذا القول من الصحة ؟

قبل ان نصدر رأياً في هذه المسألة نعرض بعض حديث لدارسي العربية حتى يتسنى لنا بعد ذلك ان نبرز رأينا في صورة واضحة وحتى يعلم اتنا لم نهمل مكرهم تماما ولم نحور آراءهم تعسفا الى فكرة نحاول اثباتها . فما هي نظرة اللغويين الى هذه التاء عند الوقف ؟ بعبارة اخرى ما هي طبيعة الوقف على المختوم بالتاء عندهم ؟

يقول سيبويه في ذلك : « فعلمة التانيث اذا وصلت التاء واذا وقفت الحقت الهاء وارادوا ان يفرقوا

(1) الكتاب ج 2 ص 281 . وللمبرد نص قريب من ذلك في المقتضب ج 1 ص 63 .
(2) شرح المنفصل ج 9 ص 81 . ولابن جني نص قريب من ذلك في سر صناعة الاعراب ج 1 ص 176 .

يوضح هذان النصفان عدة أمور ، منها : أن الوقف على تاء التانيث بالهاء خاص بالاسم المفرد والمثناة ، ويبدو ذلك من الأمثلة التي وردت في النصين . ومنها أن الوقف شامل لجميع الحالات الاعرابية . ومنها : أن بعض العرب يوقف بالتاء دون تحويلها إلى هاء مسمياً ذلك إجراء للوقف مجرى الوصل .

والاشموني يقول بمثل ذلك . ويضيف الصبان في حاشيته تعليلاً يبرر به التزام التاء في الفعل والحرف وعدم تحويلها إلى هاء وهو خشية الالتباس حين تحول ضريت إلى ضربه ورتت إلى ربه فتختلط هذه الهاء حينئذ بهاء الغير (3) . ويضيف الصبان احترازاً آخر خاصاً بالاسم وهو ألا يكون الوقف بالهاء موقفاً في ليس ترمضه اللفظة .

ويرى اشمونى في الوقف على جمع المؤنث السالم وما ضاهاه ويريد بذلك هيات وأولات — أن من الأنفل الوقف بالتاء وأن سجع ابدالها هاء في قول بعضهم « دفن البناء من المكرباء... » وكيف بالاخوة والاخوات وسجع هبابة وأولات . لكنه يعلق على ذلك بأنه من لغة طيء وقد وسه صاحب الانصاح بأنه شاذ لا يقاس عليه (4) .

ويرى صاحب النشر أن الاسم المؤنث بالتاء يوقف عليه بالهاء ويرى أن هذه الهاء بدل من تاء التانيث . وأن الوقف عليها يكون بالسكون . ولا يجوز فيه روم ولا أشمام . وفي امالة هذه الهاء المبدلة يقول أن بعض العرب أمالها كما أمال الالف فقد قيل للكسائي إنك تبيل ما قبل هاء التانيث فتقال هذا طباع العربية (5) .

تلك احاديث للقبوي العربية وعلماء القراءات نستطيع ان نخرج منها بالانكار التالية :

— ان الوقف على المختوم بالتاء يكون بالهاء

إذا كان اسماً مفرداً أو جمع تكسيراً ونصباً وجراً .

— أن هناك شرطاً لذلك هو ألا تكون التاء مسبوقةً بساكن مثل بنت وأخت .

— أن عدم اطلاق الإبدال على الفعل والحرف مرجسه أمن اللبس .

— أن هذا اللبس يجب أن يعمم ؛ لأن إمكان وجوده محتمل في الصورة الأساسية « ضاربه » .

— أن الوقف بالهاء يكون بالاسكان ولا روم ولا أشمام .

— أن جمع تصحيح المؤنث وما شابهه يمكن أن يوقف عليه بالهاء وذلك قليل خاص ببعض العرب .

— أن الاسم المفرد المختوم بالتاء يمكن أن يوقف عليه بالتاء على قلة وذلك مثل : هذا طلحت على لغة . وهذا لا ينفى عربيتها فإن جني يقول :

« وقال ليس عندنا عربيت من دخل ظفار حمز
أي تكلم بكلام حمير فإذا كان كذلك جاز جوازا قريبا
كثيرا أن يدخل من هذه اللغة في لغتنا وإن لم يكن
لها فصاحتنا غير أنها لغة عربية قديمة (6) .

يتبين من ذلك أن الوقف على الاسم المختوم بالتاء كما يرى دارسو العربية يكون بالهاء وهذه الهاء تنعت عندهم بهاء التانيث وأنها مبدلة عن تاء التانيث حين الوقف . فهل تصور ابدالها من تاء التانيث يتفق والصواب ؟ لدي احساس بأن هذه الهاء ليست إلا هاء سكت جيء بها لاغلاق المقطع في حالة الوقف وفي أقوال بعض اللغويين حولها ما يعطى إحياء بذلك وأن لم يكن نصاً في التفسير . يقول الصبان في حاشيته حول المراد بهاء التانيث أن تسميتها هاء مجاز باعتبار حالة الوقف التي هي فيه ساكنة (7) . وفي قوله مجاز دليل على أن التسمية

(3) حاشية الصبان على شرح اشمونى ج 4 ص 213 . واللبس المحتمل في ضاربه ينبغي اعتبار السياق .

(4) السابق ج 4 ص 213 — 214 .

(5) النشر في القراءات العشر ج 2 ص 79 .

(6) الخصائص ج 2 ص 28 .

(7) حاشية الصبان ج 4 ص 209—210 .

ان نستقط التاء عند الوقف في مرحلة أولى نحو:
 نائمة : نائق . ثم ان تظهر بعد الحركة النهائية
 هاء ثانوية شبيهة بهاء السكت ... نحو : ناسق :
 نائمة (9) . ويعلق كاتنينو على ذلك بقوله وهو تفسير
 تحتل صحته . فيروكلمان يكاد يقرر ما قلناه عن الهاء
 من امكان اعتبارها من قبيل السكت وقد أوضح لنا
 ذلك من خلال رؤيته السابقة . وربما سوغ ما نراه
 أيضا من الوقف على التاءات الاخرى لدى البعض في
 ثابوت - ثابوة ، البناء - البناء ، ريت - رية ، ثمت
 ثمة ، لات - لاة ، هيات - هياه . كيف نسمى هذه
 الهاءات ؟ ام المكن اعتبارها هاءات تانيث بالمفهوم
 الذي نراه في فاطمة وحزمة !

ان الراي الذي اكاد أحسه ان الوقف على التاء
 انما يكون بعد اسقاطها باستراحة تتمثل في وجود
 هاء ساكنة تشبه هاء السكت . وقد يدنع قولنا ان
 هذه الهاء ترجع تاء في الوصل وان الوصل مما ترد
 فيه الاشياء الى اصولها . وردنا على ذلك ان كل
 الاشياء مع الوقف ترجع لأصولها حين الوصل . فهل
 نعتبر كل ظاهرة في كل وقف بديلا من الوصل ؟

اننا نرفض فكرة البديل لان الوقف حالة تختلف
 طبيعتها عن حالة الوصل حيث لا تقارب بينهما واما
 مسألة الوقف بالتاء الساكنة لدى البعض فيما يسمى
 باجراء الوقف مجرى الوصل فلا نقرأها ؛ لان التاء
 هنا ليست كالتاء هناك فالوصل علامته التحريك
 والوقف علامته الصمت او السكت ونحن لا نجد في
 قولنا طلحت في الوقف الا صموتا او سكوتا لا يتسق
 وطبيعة الوصل . فالوقف ما جاء الا عن طريق تاء
 ليست بتانيث بل لعلق متطع عند الوقف ومن هنا نرى
 ان الهاء او التاء التي لحقت الاسماء عند الوقف لا
 وشيجة بينها وبين ما يسمى بتاء التانيث، حيث
 اعتبارها هاء تانيث او تاء تانيث امر بجانب الصواب.

بهاء التانيث من قبيل التجوز . ولعل ما دفعهم الى
 تلك حيرتهم أمام الموجود فقد كانت هناك تاء حالة
 لوصل فاذا بها هاء في الوقف ؛ ولاتهم أرادوا خلق
 صلة ما بين الحالتين الوصل والوقف سموها هاء
 التانيث وقالوا بابدالها ؛ لكننا ندرك ان القول
 بجازية الهاء يوحي بان الصلة واهية بين هذه
 الهاء والتانيث الذي ذهب به مطلب الوقف . وابن
 الجزري يقول : « اختلفوا في هاء التانيث هل هي
 مسألة مع ما قبلها او ان المال هو ما قبلها وانها
 نفسها ليست مسألة .. ويقول : هاء السكت نحو
 كتابية وحسابية وما اليه لا تدخلها الإمالة لان من
 ضرورة إمالتها كسر ما قبلها وهي انما اتى بها
 بيانا للفتحة قبلها فنى إمالتها مخالفة للحكمة التي من
 أجلها اجتنبت . وقد يفهم من قوله ان هناك فرقا بين
 الهامين من جهة الإمالة وعدمها وهذا لا يناقض قولنا
 ان الهاء واحدة ولا يرجع الاختلاف الى الهاء نفسها ،
 ولكن الى الحرف الذي قبلها ، ذلك انهم اختلفوا في
 هاتنا هل هي مسألة مع ما قبلها او ليست مسألة
 والمال هو ما قبلها . فنشرط الإمالة ليس دليلا على
 اختلافها . والذي يجعلنا نرى . انهما شيء واحد ان
 الروم والإشمام لا يدخلانها اذ لو ان الهاء كانت بدلا
 من التاء كما رأى اللغويون لكانت حرفا صحيحا يمكن
 له ان يشم ويرام فاذا لم يحدث له ذلك فامتراض
 انها بدل من تاء التانيث يصعب علينا قبوله . يضاف
 الى ذلك ان ابدال التاء هاء مباشرة ولأسباب صوتية
 محضة أمر صعب وحديث كاتنينو من بروكلمان يؤكد
 ما نراه اذ يقول : « ان التغيير الطارئ على التاء،
 والذي يسترعي الانتباه اكثر من غيره هو انقلاب
 علامة التانيث في الاسماء والصفات اي (ة الى ة) عند
 الوقف ولما كان ابدال التاء هاء مباشرة ولأسباب
 صوتية محضة من الظواهر المستبعدة نوعا ما ، فقد
 اقترح بروكلمان في المختصر ج 1 ص 48 تفسير هذا
 الحديث بالصورة التالية :

(8) النشر في القراءات العشر ج 2 ص 85 .
 (9) دروس في علم اصوات العربية . جان كاتنينو ص 52 .

الحروف العربية والحواس الست (1)

للأستاذ فؤاد عيسى عجمت

دمشق

الحمض النووي من الخلية البذرية المولدة ، اطلقوا عليها اسم مدونة (ADN) . وبفك رموز هذه المدونة وجدوا انها مؤلفة من اربعة أحرف ، دعوها بالابجدية الوراثية ، ورمزوا اليها بأحرف (ت. س. غ. آ) . ويشمل معجم هذه المدونة (64) كلمة ، قد تبايز بعضها عن البعض ، كل كلمة منها تشكل متواليه من ثلاثة أحرف على الشريط الكيميائي ، الآنف الذكر (2) .

واذن يمكن أن نستنتج من هذا الاكتشاف اللغوي البيولوجي الحديث ، ان الاتسسان لم يبدع اللغة استجابة عقلية للضغوط البيئية المشتركة بين الانسان والحيوان فنحسب ، وانما استجابة لتركيبه البيولوجي

اللغة ، كاداة للتواصل بين البشر ، هي كالأصوات الهيجانية والحركات البدنية ، وما اليها من وسائل التواصل والأعلام في دنيا الاتسان والحيوان على حد سواء .

ولكن لماذا انصرف الاتسان عن وسائل الاعلام البديلة هذه الى اللغة ، وبينها فروق نوعية جبارة استحال معها على الحيوان أن يجتازها الى اللغة ؟ كان الفلاسفة وعلماء اللغة والنفس يعززون ذلك الى ملكة العقل في الاتسان . ولكن يبدو ان علماء البيولوجيا قد جاؤوا بتعليل جديد آخر .

فلقد اكتشف علماء اللغة البيولوجيون مؤخرًا ، لغة حياتية مسجلة على شريط كيميائي في جزء

- (1) مدخل الى دراسة بعنوان « الحروف العربية والحواس الست » معدة للطبع .
- (2) كتاب الاتجاهات الرئيسية لبحث العلوم الاجتماعية والانسانية . اليونسكو ، المجلد الثاني ، ترجمة وزارة التعليم العالي السورية ص 306-313

أيضا، وقد جهز بشرط لغوي مسجل في خليته البذرية المولدة (نسيحان الذي علم الانسان بما لم يعلم) .

وهكذا فاللغة بحسب هذا الاكتشاف تنتمي الى الخصائص البيولوجية في الانسان ، قبل ان تنتمي الى الملكة العقلية فيه. وان لغة الانسان الفجر هي من نتاجه الفطري الاصق بالفريزة وليست قطعا مجرد مصطلحات عقلية تواضع الناس على معانيها .

كما يدمم هذا الاكتشاف صحة من ذهب الى القول بأن أصوات الحروف ، هي أصل اللغة ، وان اللغة ذات الامعال والصادر الثلاثية الاحرف ، كاللغة العربية ، هي أقرب الى فطرة الانسان الموروثة من سواها .

اسوق هذه النبذة من مدونة (ADN) و

ابجديتها الوراثة ، لا كحقيقة علمية نهائية ، لتعطيل نشأة اللغة ، ففي كل يوم حدث علمي جديد ، وانما للوصول الى ان الربط بين أصوات الحروف العربية والحواس الست ، ليس امرا مزاجيا ، اذ يمكن ان يرتقى هذا الربط الى مرتبة العلمي ، اذا ايدته التجربة.

وهكذا تعرضت في هذه الدراسة بحكم الصلة الجديدة المفترضة بين الحروف العربية والحواس الست ، الى قضايا خاصة تتصل بعلوم النفس والاجتماع والتاريخ والآثار والنيوزيولوجيا والاصوات، لم يسبق ان تعرض لها باحث في اللغة العربية على ما أعلم .

فجرد القول بوجود حاسة سادسة ، ومن ثم السعى للكشف عن العلاقة الكائنة بين اصوات

الحروف العربية وبين الحواس الست ، مما لم يثره دارس في اللغة العربية حتى الآن ، لا بد له من نهج جديد في البحث والتقصي ، ولا بد لهذا النهج اذا كان صحيحا ان يطرح قضايا غير مطروقة ، ليصل الى نتائج غير مسموعة .

ومع ذلك لا يحسبن القارئ ان موضوع هذه الدراسة مبتكر لم يسبقني اليه أحد . فلقد تناوله كثير من علماء اللغة العربية وفلاسفتها وفتحاتها وأدبائها طوال الف عام ونيف .

فال موضوع الاساسي لهذه الدراسة هو فطرية اللغة العربية .

وهذه الفطرية التي ظلت من مسلمات المدرسة اللغوية القديمة ، طوال الف عام ، قد رفضها اخيرا أصحاب مدرسة لغوية محدثة من خريجي الجامعات الغربية ، وقالوا برمزية اللغة واصطلاحيتها غريبة كانت اللغة او عربية . لقد اخذوا بآراء علماء اللغة الغربيين الذين اجمعوا على ان اللغة « هي التعبير الرمزي بالذات وان كان لها الاولوية على كافة انماط الرمزية التواصلية » (3) .

ولقد شهد القرن الحالى صراعا مرًا بين المدرستين ، كانت الغلبة العدديّة فيه لاصحاب المدرسة الحديثة ، بحكم القابهم العلمية الرفيعة ، ومراكزهم الجامعية المرموقة ، وسلطانهم الرسمي على عقول أجيال من ادبائنا ولغويينا من خريجي الكليات الادبية التي يشرفون عليها ، لا فرق بين من قال منهم بعبقرية اللغة العربية ، وبين من انكرها.

وهكذا تضامر على دعوى نظرية اللغة العربية
عوامل كثيرة ، من أبرزها :

أ - إجماع علماء اللغة الغربيين على رمزية
اللغة ، ليصبح القول بنظرية اللغة العربية في نظرهم
ونظر تلاميذهم ، ضربا من التخلف الفكري أو التتوقع
التمسبي ، دون أن ينتبهوا الى ما بين لغتنا واللغات
الغربية من فوارق في الاصل والنشأة والبنية .

ب - اعتماد أصحاب المدرسة القديمة من
القداسي والمحدثين على الحس الشعري المرفه في
المثقف العربي : اذن موسيقية مدرية على الشعر ،
تترك الفروق الدقيقة بين تلوينات الاصوات ، ومعاناة
ادبية طويلة ، يدرك معها الفروق الدقيقة بين تلوينات
معانيس الالفاظ . وهكذا لم يتبع اصحاب هذه
المدرسة في ذلك نهجا علميا تجريبيا ، ولم يستمعوا
بمختلف العلوم الانسانية والطبيعية الحديثة . فكانت
ادلتهم اللغوية تعتمد تارة على النصوص (كالملايلي)
وتارة على ملكة التنوق الفني (كابن جني) ، وتارة
على صدى صوت اللفظة في النفس (كالارموزي) .

ج - انصراف معظم ادبائنا ولغويينا المحدثين
عن الشعر العمودي تولا وحفظا ورواية ، مما اخذ
معه الحس الشعري المرفه ينضب في نفوسهم جيلا
بعد جيل ، لتضمر بذلك الملكة الفنية التي كانت تأخذ
بأسلانهم الى فطرية اللغة العربية عفو السليقة
الشعرية والنشأة الادبية .

ولكن هل يستحيل علينا ان نجعل الانسان
العربي المعاصر يدرك نظرية اللغة العربية ؟

اذا كانت فطرية اللغة العربية حقيقة انسانية ،
فلا بد لها ان تطرح مجموعة من القضايا الانسانية
والمادية ، التي يمكن اخضاعها للخبرات العلمية ،

مما يحتم على المعتل تبول نتائجها ، عربيا كان ، او
غير عربي .

**فما هي القضايا التي تطرحها فطرية اللغة
العربية ؟**

هذه الفطرية تعني مبدئيا ، ان اللغة العربية
مقتبسة مباشرة عن الطبيعة ، ماديا وانسانيا ،
وان اثر الطبيعة لا يزال عالقا في جذور حروفها مبنى
ومعنى الى يومنا هذا .

واذن، فانها تقترض ان الانسان العربي الذي
أبدع هذه الحروف لم ينحدر عن شعب آخر ، وان
حروفه لم يقتبسها عن لغة اخرى .

كما ان هذه الفطرية تقتضى ان يكون الحرف
العربي كظاهرة ثقافية ، قد تفاعل مع مقومات
الشخصية العربية وقيمتها وتقاليدها ، وان يكون
الاتسان العربي بالمقابل قد تفاعل مع المسطحات
الثقافية للحرف العربي ، ومع خصائصه الصوتية
ايضا .

ولقد استهدفت من هذه الدراسة اقامة الادلة
على صحة هذه المقولة ومقتضياتها .

ولكن ما هو موقف المدرستين اللغويتين الانفتحي
الذكر من هذه النتائج المستخلصة مباشرة من مقولة
نظرية اللغة العربية ؟

بينى وبين اصحاب المدرسة اللغوية الحديثة :

لما كانت هذه المدرسة ترفض اصلا فطرية
اللغة العربية ، فمن البدهى ان ترفض ايضا نتائجها.

فلا الحرف العربي بكر ، ولا الاتسان العربي فجر ،
وليس ثمة اي تفاعل بين الحرف العربي والاتسان
العربي ، ولا العكس بالعكس صحيح ، الى آخر

ما هنالك من ضروب الرفض والانتكار ، حتى ليظن القارئ وكأنه لا لقاء بيني وبين أصحاب هذه المدرسة في شيء .

وعلى الرغم من افتراضى وإياهم في بداية الشوط ، واختلافي وإياهم في نهايته ، فما أطول ما تعقبت خطاهم بين هاتين النقطتين ، وما أكثر ما لجأت إلى العلوم التي استخدموها في أبحاثهم اللغوية ، (وان غنسى كل منا على ليله) .

ولئن كنت استعنت بنبذ من علوم التاريخ والآثار والاجتماع والفيزيولوجيا والاصوات والفن والاخلاق ، بمعرض اقامة الأدلة والبراهين على صحة هذه المقولة ، فان هذه الدراسة تنتهي أكثر ما يكون الانتهاء إلى علم اللغة النفسى .

فاللغة العربية بخصائصها ومزاياها النظرية ، لا يمكن ان تنكشف للذهن العربى ، ما لم يستخدم العلوم اللغوية الحديثة في دراستها وتحليلها ، ولكن تحت رقابة حس شاعري مرهف ، وذوق ادبى رفيع .

فاللغة العربية كظاهرة نظرية من مظاهر الحياة الانسانية ، لا تخشى العلم الحديث قطما ، ويقدر ما نستخدم من الوسائل العلمية الحديثة في استجلاء كنهها ، تتاح لنا الفرص للكشف عن المزيد من قيمها الجمالية ومضامينها الثقافية ، لا بل وللكشف أيضا عن المزيد من خصائص الحياة الانسانية وقيمتها كرميقتي عمر منذ فجرها الحضاري الاول .

ففى اللغة العربية من الاصاله العلمية ، ما فى اى بادره اصيلة من بوادر الحياة .

بينى وبين اصحاب المدرسة اللغوية القديمة :

انسى واحد من تلاميذ هذه المدرسة ومريديها .

قد ترعرعت فى ربوعها ، انهل من ينابيعها ، وأتطف من ثمارها ، وانفيا ظللالها . فكانت جنتي اللغوية النجر ، وما كان اسمعنى بها ، حتى ظننت انه لن يكون يوما ما اى فراق بينى وبين اقطابها .

ولكن ، على الرغم من انطلاقى وإياهم فى البحث والتقصى من نقطة الأبتداء ، هى بداية الحرف العربى ، ووصولنا سوية الى نقطة الانتهاء ، هى نظرية اللغة العربية ، فانسى لم ألتق وإياهم فى هذه المسيرة اللغوية الطويلة بين هاتين النقطتين ، الا فى صدف من تقاطع الطرق ، لتتفق حيناً وتختلف أحيانا كثيرة .

فلقد اعتمد اصحاب هذه المدرسة فى أبحاثهم وتصحياتهم بصورة عامة على سليقة ادبية متمكنة ، وحس مرهف الشعور . ولربما تجاوزوا فى تصحياتهم أحيانا ، النطاق اللغوي التقليدي ، الى نطاق علوم النفس والحركة والاصوات ، والاجتماع وغيرها ، ولكن دون أن ترقى مثل تلك اللع الذكية الى مرتبة البحوث العلمية الحديثة . فلا نهج علمى تجريبي واضح ، ولا استثمار جدي لمكتشفاتهم اللغوية فى ميادين النفس والاجتماع والتاريخ والاصوات وما اليها .

ولقد عقدت فصلا خاصا فى هذه الدراسة بعنوان (علماء اللغة العربية وإيحاءات الحروف) استعرضت فيه آراء لفيف من كبار اصحاب المدرستين اللغويتين ، حول خاصية الإيحاء فى الحروف العربية ، المرتبطة مباشرة بنظرية اللغة العربية .

أما انا ، فقد نهجت فى التدليل على نظرية اللغة العربية نهجا مغايرا .

فما هو منهجي في هذه الدراسة ؟

كما تبين لي ان الانسان في الجزيرة العربية
قد مر بمراحل حياتية ثلاث :

1 - مرحلة الصيد : وقد استمرت منذ فجر
الانسانية حتى الالف الثالث عشر قبل الميلاد . وكان الرجل
القوي في هذه المرحلة هو سيد الاسرة بلا منازع .

2 - مرحلة الزراعة : وقد بدأت اول ما بدأت
على وجه الارض في الجزيرة العربية على يد المرأة ،
حوالي الالف الثاني عشر قبل الميلاد . فكانت المرأة
في الجزيرة العربية اول فلاح في التاريخ لتكون بذلك
اول معلم في دنيا الحضارات . وفي هذه المرحلة انتزعت
المرأة النكية زعامة الاسرة من الرجل القوي .

3 - مرحلة الرعي : وقد نشأت في الجزيرة
العربية اول ما نشأت على وجه الارض ، حوالي الالف
العاشر قبل الميلاد . وفي هذه المرحلة استعاد الرجل
الشجاع المحارب سيادته على الاسرة ، ولا يزال
محتفظا بها الى حد ما ، حتى اليوم .

كما تبين لي ان انسان الجزيرة العربية قد
أبدع حروفه عبر هذه المراحل الحياتية الثلاث ، فكان
منها الغابي والزراعي والرعوي . وقد أبدع الرجل
استجابة للمقتضيات المهنية في مرحلتي الصيد
والرعي بعض الحروف ، كما أبدعت المرأة استجابة
لمقتضيات مهنتها في المرحلة الزراعية بعض الحروف
ايضا .

وهكذا فان الموجات البشرية التي خرجت من
الجزيرة العربية بين الالف العاشر والثامن قبل الميلاد
الى وادي الفرات ووادي النيل ، تحت ضغط الجفاف
المتزايد ألف عام بعد ألف ، كانت تحمل بذور حضارة
راقية ، من حروف عربية ، ورموز كتابية ، وأدوات
مدنية ، ومعتقدات سماوية وتنظيمات قبلية كانت

لقد اعتمدت طريقة الخطأ المفترض في البرهان
الرياضي للتحقق من صحة مقولة فطرية اللغة
العربية . أفترض ، وأتساءل عن صحة الافتراض ،
وأجيب . ثم أتساءل عن صحة الاجابة . وهكذا ، الى
ان تتطابق الاجابة الاخيرة مع حقيقة الواقع . فتسحب
هذه الحقيقة الاخيرة ، بحكم المنطق الرياضي ،
على جميع الافتراضات السابقة وأجوبتها .

الافتراض الاول :

اذا صح ان اللغة العربية فطرية النشأة ، فان
ذلك يفترض بداءة الحرف العربي وفجرية الانسان
العربي على حد سواء .

(بداية الحرف العربي مرتبطة مباشرة بفجرية
اللغة العربية ولا تراق . وفجرية الانسان العربي
مستخلصة من هذه الصلة الراهنة بين معاني الحروف
العربية وبين الطبيعة . اذ لو ان الانسان العربي
اقتبس حروفه عن غيره ، لانتظمت هذه الصلة بينها
وبين الطبيعة ، مثلما انتظمت في الحروف الفريسية
المقتبسة اصلا عن الابدجية الفينيقية) .

وللاجابة على هذه الفرضية ، عقدت فصلا
خاصا في مستهل هذه الدراسة بعنوان : « حول
بداية الحرف العربي والانسان العربي » .

ولقد تبين لي من هذه الدراسة ، ان انسان
الجزيرة العربية ظل مقبلا فيها لم يبرحها قطعا ، ولم
يفزه في عقرداره شعب آخر على الاطلاق ، منذ بداية
العصر الجليدي الرابع حوالي الالف الستين قبل
الميلاد حتى الالف العاشر أو الثامن قبل الميلاد ، بعد
ان أبدع جميع حروفه .

اساس أنظمة الحكم في المنطقة العربية حتى العصر الحديث .

الافتراض الثاني :

إذا صح أن الحروف العربية بديئة ، فالافتراض أن يكون الإنسان العربي قد استخدم أصواتها للتعبير من مختلف أحاسيسه الحسية ومشاعره الانسانية .

وفي الحقيقة ، عندما لمس الإنسان العربي الفجر الأشياء من حوله ، لأبد أنه قد عبر عن الاحساس بالخشونة أو النعومة أو الحرارة أو الصلابة ، وما إليها من الملامس ، بأصوات معينة مرفقة بحركات جسدية ملائمة ، وذلك بمعرض التواصل والاعلام مع أبناء مجتمعه . واذن يمكن أن نطلق على مثل هذه الاصوات اسم الاصوات اللمسية . ولا بد أن هذه الاصوات والحركات قد تطورت وتنهبت مع تطور الإنسان العربي ، عقليا ونفسيا ، واجتماعيا ومهنيا ، لتسقط الحركات الجسدية وتختصر الاصوات الكثيرة أخيرا في أصوات حروف لمسية معينة .

ثم عندما تذوق هذا الإنسان الأشياء وشمها ، ونظر إليها وسمع أصواتها ، وعندما عانى بعض الانفعالات الشعورية ، فلا بد أن يكون قد عبر عن كل ذلك بأصوات خاصة مرفقة بحركات ملائمة ، على مثال ما فعل باللموسات . لتسقط الحركات ، وتنهبت الاصوات ، فتختصر في حروف ذوقية وشمية وبصرية وسمعية وشعورية .

الافتراض الثالث :

إذا صح أن الإنسان العربي قد عبر عن أحاسيسه ومشاعره بأصوات الحروف العربية الفجرية فالافتراض أن توحى الاصوات بمختلف الاحاسيس

والمشاعر الانسانية . فأصوات الحروف ، قبل ان تنتمى الى القطاع اللغوي ، تنتمى أصلا الى القطاع الموتى .

ولقد اقتضتسي الاجابة على هذا الافتراض ، القيام بدراسة مبتكرة على الحواس الخمس للكشف عن العلاقات المتبادلة بين الاصوات والحواس ، وقد خلصت من هذه الدراسة الى تصنيف الحواس نسي هرمين حسيين اثنين :

1 - فالحواس الخمس من حيث ماديتها يمكن تصنيفها في هرم حسي سوي .
يبدأ هذا الهرم بحاسة اللمس ، أشد الحواس مادية ، كتعادة له . ثم تأتي حاسة الذوق الأتلى ، مادية ، في الطبقة الثانية . ومن ثم تأتي حاسة الشم ، فحاسة النظر ، لتحتل حاسة السمع أقل الحواس مادية وأكثرها تجريدا ، قمة الهرم .

ب - أما الحواس الخمس من حيث قدرتها على استيعاب الاحاسيس (أي التلار بها وادراكها) ، فيمكن تصنيفها في هرم حسي منكوس ، ذروته في الاسفل ، وقاعدته في الاعلى .

يبدأ هذا الهرم بحاسة اللمس المغلقة على نفسها في الذروة المنكوسة ، فلا توحى ملامس الأشياء باي احساس ذوقي أو شمى أو بصري أو سمعي أو شعوري . ثم تأتي حاسة الذوق منى الطبقة الثانية . فتوحى مذاقات الأشياء ، بأحاسيس لمسية فقط ، ولا توحى بشيء من أحاسيس الحواس الأخرى أو المشاعر الانسانية . ثم تأتي على التوالي حواس الشم ، فالنظر ، فالسمع . كل حاسة منها تدرك أحاسيسها وتستوحى أحاسيس من دونها من الحواس ، دون أن تستطيع استيعاب أحاسيس من

بالذات .

وهذا ما قانني الى القول بان الشعور الذي يعي ذاته بذاته ، هو الحاسة السادسة . نعمتدت فصلاً خاصاً للكشف عن دور الشعور ، سواء في عملية ابداع اصوات الحروف عن طريق التتمص ، او في عملية استيحاء معاشي الاصوات عن طريق الاستبطان ، لأخلص أخيراً الى البرهان على ان الشعور يتمتع بخصائص الحواس ، وان تميز عنها في بعض المواصفات . ونظراً لشغافية هذه الحاسة وتجرداها المطلق عن المادة فقد صنفتها على امتداد الهرمين الحسينيين فوق ذروة الاول وقاعدة الثاني .

الإفتراض الرابع :

إذا صح ان الانسان العريسي قد عبر عن احساسه ومشاعره بأصوات حروفه ، وان الاصوات توحى فعلاً بمختلف الاحاسيس والمشاعر الانسانية ، فالافتراض ان توحى أصوات الحروف العربية بهذه الاحاسيس والمشاعر .

(نمجرد القول بان الانسان العريسي الفجر قد استخدم أصوات حروفه للتعبير عن احساسه ومشاعره ، لا يتضمن بالضرورة هذه الصلة الإيحائية بين أصوات الحروف ومعانيها . إذ يمكن ان نصرف ذلك الى ان الانسان العريسي قد فرض رمزية مصنعة بين الحروف ومعانيها . وذلك على مثال تجربة العالم بانوف الشهيرة الذي استخدم فيها قرع الجرس لتنبية الحاسة الذوقية في كلبه . وليس بين صدى قرع الجرس وبين حاسة ذوق كلبه الا عادة تقديم الطعام له عند القرع ، ولا ايهاء ولا استيحاء) .

توتها . ولذلك فان حاسة السمع تستوحى مختلف الاحاسيس والمشاعر الانسانية . بمعنى ان الاصوات توحى أصلاً بمختلف الاحاسيس والمشاعر الانسانية .

وهذه العلاقة بين الاصوات وبين الاحاسيس والمشاعر الانسانية قد اكتشف بعضها كثير من العلماء والابناء والشعراء والفلاسفة . منهم عالم الصوت (بلماز) الذي تبين له من كشافه (ان ثمة تشابهاً بنويماً أساسياً بين أصوات اللفظة التي تدركها الآن ، وبين الألوان التي تراها العين) (4) .

ومنهم الشاعر الفرنسي رابيو الذي لاحظ ان لأصوات بعض الحروف الفرنسية إحياءات بألوان معينة ، ليوحى له صوت حرف (O) باللون الاسود .

ومنهم ابن جني الذي جاء بقاعته الشهيرة (حذوا لسموع الاصوات على محسوس الاحداث)، لتوضيح العلاقة الطبيعية بين الصورة الصوتية للفظة وبين صورتها المرئية في الحدث الذي تعبر عن معناه .

ومنهم الارسوزي الذي قال بالعلاقة الثلاثية الاركان بين الصورة الصوتية للفظة العربية والصورة المرئية لها ، وصداها في الوجدان (اي المشاعر الانسانية) .

الا ان أحداً لم يقل بأية علاقة بين الاصوات والاحاسيس الذوقية والشمية .

ولكن تبين لي أثناء هذه الدراسة ، ان الاصوات الانتمالية ، لا يمكن ان توحى بمشاعرها الانسانية بدقة ، إلا اذا كان سامعها قد عانى سابقاً هذه المشاعر

الحرف العربي دوره النعال في تكوين معنى اللفظة العربية .

وللتحقق من صحة هذه الافتراضات لجأت الى المعاجم اللغوية للكشف عن مدى التوافق بين خصائص الحروف الصوتية وبين معاني الالفاظ التي تدخل في تركيبها .

ولقد كان من أصول البحث العلمي ، ان أستخرج معاني جميع المصادر التي تبدأ بحرف معين ، ثم معاني جميع المصادر التي تنتهي به ، ومن ثم جميع معاني المصادر التي يقع هذا الحرف في أواسطها . ثم أثارن بين هذه المعاني وبين الخصائص الصوتية لهذا الحرف . وذلك لأرى مقدار نسبة التوافق بين خصائصه الصوتية وبين معاني جميع المصادر التي شارك في بنائها . واخيرا ، لتقرر فيما اذا كان الانسان العربي قد استخدم الخصائص الصوتية لهذا الحرف في معاني الفاظه ، ام أنه لم يفعل . وهكذا حرفا بعد حرف ، لنحكم في النهاية ، فيما اذا كان للحروف العربية معان خاصة ، ام انها مجرد رموز على معان ، وان اللفظة العربية بالتالى ، مجرد مصطلح على معنى ، كما يقول اصحاب المدرسة اللغوية الحديثة .

ولما كان هذا التتبع العلمي فوق طاقتي ، فقد رأيت باديء ذي بدء ان أكتفي باستخراج معاني الالفاظ التي تبدأ بالحرف موضوع الدراسة ، بزعم ان الحرف الاول من اللفظة العربية ، هو الذي يطبع معناها بخصائصه الصوتية . وذلك استنباطا من النزعة الفردية في الانسان العربي المنهم بانه مولع بمكان الصدارة من كل أمر ، لا يبعد معها ان يتعد الرعاية في الكلمة للحرف الاول . فماذا كانت النتيجة؟

وللتحقق من صحة هذا الافتراض ، أخذت أتأمل مدى أصوات الحروف العربية في نفسي حرفا بعد حرف ، للكشف عن خصائصها ومعانيها ، على مهل الشهور والاعوام . ولقد تبين لي ان هذه الحروف موزعة بالنمط بين الحواس والمشاعر الانسانية ، لكل حاسة مجموعة من الحروف ، ولكل انفعال شعوري أساسي ، حرف خاص .

فكان لحاسة اللمس ستة حروف هي : (ت . ث . د . ذ . ك . م) .

وكان لحاسة الذوق حرفان اثنان هما (ر . ل) .

وكان لحاسة البصر أحد عشر حرفا هي (الهمزة . ا . ب . ج . د . هـ . و . ز . ح . ط . ظ . ع . ف . ي) .

وكان لحاسة الشمور سبعة أحرف هي : (ص . ض . ن . خ . ح . هـ . ع) .

أما حاسة الشم فلم أجد لها حرفا خاصا بها ، وان كان لبعض أصوات الحروف أبحاث شمية ، الى جانب أبحاثها الحسية الخاصة . على ان حرف الطاء البصري ، هو ألصق الحروف بحاسة الشم ، مخرج صوت وايحاء معنى .

الافتراض الخامس :

اذا صح ما انتهيت اليه من تأملاتي الخاصة ، من حيث تصنيف الحواس في هرمين حسيين ، ثم من حيث توزيع الحروف بين الحواس والمشاعر الانسانية ، فالافتراض ان يكون لكل ذلك سنده من واقع اللغة العربية . ولا بد للانسان العربي ان يكون استثمر الخصائص الصوتية لحروفه في ابداع الفاظه للتعبير عن معانيها . وبتعبير أدق ، لا بد ان يكون لصوت

تصدرها أو تتوسطها أو تنتهي بها ، كما لم تستطع ان تحتفظ بطبقاتها الهرمية . فهي حروف أمعية ، لتلوين معانى الالفاظ التي تدخل في تركيبها ، كحروف : (ا ، و ، ي ، ط ، ح) . شأن هذه الحروف ، شأن الاعميات في المجتمعات الانسانية .

وهكذا بالتزام معاني الالفاظ التي تبدأ بالحروف القوية الشخصية طبقاتها الحسية ، لا تتجاوزها الى الطبقات العليا ، الا نادرا ، وان شملت الطبقات الحسية الانسى ، فان ذلك يؤكد صحة تصنيف الحواس في الهرم الحسي المنكوس ، وان الاصوات بخاسة توحى بأحاسيس جميع الحواس .

الافتراض السادس :

(كل اثر فني اصيل يحمل بالتأكيد نفحة من روح مبدعه ، لينطبع بطابعه الشخصي المميز ، عمارة كان الأثر ، او نحتا ، او رسما ، أو شعرا ، أو موسيقى او أدبا ... مما يستطيع معه فواتة الفنون الأصلاء ، أن ينسبوا الآثار الفنية المجهولة الانساب الى أصحابها) .

ناذا صح ان الانسان العربي قد أبدع حروفه عنو فطرته السوية ، ليصير بها عن أحاسيسه ومشاعره في الفاظ طوال آلاف الاعوام ، فالمفترض ان يحمل الحرف العربي طابع الشخصية العربية.

وللنتحقق من صحة هذا الافتراض عقدت فصلا خاصا في القسم الثاني من هذه الدراسة بعنوان : « بين فردية الانسان العربي وفردية الحرف العربي »

وفي الحقيقة ، لما كان الانسان العربي قد بدأ حياة الرعي والتشرد في الجزيرة العربية منذ الألف العاشر قبل الميلاد ، ولا جدران عالية تعصمه من

لقد صدقت وجهة نظري هذه بالنسبة للحروف القوية بصورة غير متوقعة . فكانت خصائص الحروف فوات الشخصيات المتميزة تتطابق مع معانى الالفاظ التي تبدأ بها ، بنسب تتراوح بين (40-66) بالمئة ، كحروف (د ، ر ، ل ، ب ، ج ، ف ، ز ، ق ، خ ، ص ، ه ، ع) . كما أن معاني الالفاظ التي بدأت بمعظم هذه الحروف قد التزمت بطبقاتها الهرمية ، لم تتجاوزها الى الطبقات العليا ، الا نادرا ، وبفعل حرف قوي الشخصية يثنى الى تلك الطبقات ، وتلك معجزة خارقة لا مثيل لها في أي لغة من لغات العالم .

معاني جميع الالفاظ التي تبدأ بحرف الدال اللبسي مثلا ، لم تتجاوز طبقة اللبسية الى الطبقات العليا الا في ثلاثة ألفاظ (الدسم) للطبقة الذوقية ، و (نندن) و « دوى » للطبقة السمعية .

أما الحروف الشاعرية الرقيقة ، كحروف : « م . س . ن . » ، فكانت تُقدر على فرض خصائصها الصوتية على معانى الالفاظ ، عندما تقع في نهاياتها ، وليس في أوائلها ، وتلك رهافة سمع في الانسان العربي مقلنة للانتظار .

(وذلك ، على مثال ما كانت المرأة في المجتمع الرعوي أوحى بخصائصها الانثوية ، رقة وحشمة واحاطة وحنانا ، عندما تستقر في مضربها في مؤخرة الصلوف ، أنسجلا مع ميلها الفطري الاصيل السبي دواعي الطمينة والاستقرار . على العكس من الرجل الراعي في صحرائه ، الذي كان بجهارة صوته ، وخشونة منظره وصلابة قسامته ، أوحى بالقوة والرجولة وادمى البطولة ، عندما يكون في مقدمة الصلوف) .

أما الحروف الضمنية الشخصية ، فلم تفلح في فرض خصائصها الصوتية على معاني الالفاظ التي

عاديات الوحوش والناس ، ولا ستوف مرفوعة
تقيه من تقلبات الطقس والطبيعة ، فقد استجاب لكل
هذه التحديات بحصون منيعة من القوة والشجاعة ،
وبأريية واقية ، من التشف والصبير والجلد .

ولما كان المجتمع العربي الرعوي لم ينعم بسلطة
مركزية مسيطرة تحميه من أعدائه والطماعين بقطعاته
فقد لجأ الى روابط قبيلة تنجده عند الحاجة وتثار له
عند الاقتضاء .

ولما لم تتوفر له مؤسسات اجتماعية تكمله في
عوزه ومرضه وضعفه وطوارئه ، فقد أحدث مؤسسات
انسانية من تقاليد الكرم والضيانة ومفاهيم الشهامة
والمرودة والنجدة والشرف ، يلجأ اليها عند الضرورة .

وهكذا قامت فردية الانسان العربي أول ما
تأمت ، على أصالة الصلة بين طماتاته الروحية
وطماتاته الجسدية ، بعضها يأخذ بعناق بعض .
فكلما صبت نفسه في موافقه الى قيم انسانية عليا ،
استجاب جسده لتحديات الحياة قوة وتجلدا . والعكس
بالمعكس صحيح . لتقوم فردية الانسان العربي أصلا ،
على الرابطة الاصلية بين القيم الاخلاقية والقيم
الاجتماعية .

وبالمقابل ، فان الحروف العربية قد نشأت منذ
نجرها الاول في بيئة بكر ، لا لغة فيها ، ولا فن ولا
أدب ، ولا دين ، ولا فلسفة ، فألقى الانسان العربي
على عاتقها كل هذه الاعباء الثقافية للتعبير عن احساسه
ومشاعره وانكاره وحاجاته . وقد استجابت الحروف
العربية عبر العصور لهذا التحدي الثقافي الكبير .
لتحمل الحروف العربية في طيات أصواتها تراث
الانسان العربي الثقافي ، ان لم يكن تراث
الانسانية .

وهكذا قامت فردية الحرف العربي على أصالة
الصلة بين خصائصه الصوتية المميزة وبين معانيه ،
على مثال ما قامت الفردية العربية على أصالة الصلة
بين طماتاته الجسدية وطماتاته الروحية .

وانسجاما مع نهج الانسان العربي النفسى
الاخلاقى مراتبه الاجتماعية وتقاليد، ومؤسساته، قد
خص الحروف العربية التي في أصواتها تناسق
وانسجام وفعالية يختلف معانى الشهامة والمرودة
والسؤ ومشاعر النخوة والحنين والخشوع وما اليها
من القيم الانسانية . اما الحروف التي في أصواتها
نجاحة واضطراب ورخاوة ونشاز ، فقد خصها بمعانى
النظاظة والتباحة والخسة والسذارة والعمامة
والاضطرابات النفسية والتشوهات الجسدية ، وما
اليها من النقائص الانسانية ، في روابط صحيحة
صريحة متبادلة بين القيم الجمالية والقيم الاخلاقية ،
ظاهرة لغوية متفردة في دنيا الحروف لا مثل لها في
لغات العالم أيضا .

ليصدق بذلك الحدس الذي تأسست عليه أصلا
هذه الدراسة ومآله :

« لا فن بلا أخلاق ، ولا أخلاق بلا فن »

الافتراض السابع :

إذا صح أن الانسان العربي قد صبّ فى
الحرف العربي عصارة روحه ، وخلاصة مقوماته
الشخصية ، على وجه ما سبق ، فالافتراض أن يكون
ثمة علاقة نفسية بين الحرف العربى والانسان
العربى .

وللتحقق من صحة هذا الافتراض ، عقدت فصلا
خاصا في القسم الثالثى من هذه الدراسة بعنوان :
« الجوانب النفسية فى الحرف العربى » .

ولقد عقدت في القسم الثاني من هذه الدراسة
 نغلا خاصا بعنوان « الحروف العربية والاصوات
 الفغائية » ، كشفت فيه عن مخارج اصوات بعض
 المغنيين والمرتلين ، منهم ذو المخرج الصوتي العيني ،
 (وديع الصافي ، عبد الوهاب في شبابه ، فيروز ، أم
 كلثوم) ، والهاثي (فريد الاطرش ، خضيرى أبو
 عزيز) ، والحاثي (نجاح سلام) ، والياثي (فايزة
 احمد) ، والنونسي (عبد الباسط عبد الصمد ، احمد
 السكري) .

ولكن هل تقتصر هذه القاعدة الصوتية اللغوية
 على الانسان العربي نحسب ، ام انها تتجاوزة الى
 الناس كافة ؟

بحكم أصالة الصلة بين الخصائص الصوتية
 للحروف العربية المتقبسة عن الطبيعة وبين معانيها،
 فان الحرف العربي، في هذا المضمار الصوتي اللغوي،
 يتجاوز نطاقه القومى الى الانسانى . ولقد ضربت
 على ذلك بعض الامثلة عن مختلف الشعوب .

ومن ينكر علينا هذه الملائمة بين شخصية
 الانسان وبين مخرجه الصوتى على مستوى الأفراد
 والشعوب ، فائى اهيله الى المنحنيات الصوتية
 الثلاثة التى اكتشفها العالم (ادوارد سيفرز) وتلميذه
 الموسيقى « غوستاف بكينج » .

فكل فرد ، على رايها ، يحمل كلامه خصائص
 لا تتعطل ، ولا يمكن التخلّى عنها . وهذه الخصائص
 ترجع فى أصلها الى القسم الأدنى من الجهاز
 الصوتى الواقع بين منطقة البطن ، وبين الصدر
 والتجويف البطنى . وتحليلهما للأصوات البشرية،
 تبين لهما ان ثمة ثلاثة نماذج أساسية من المنحنيات،
 ولكل منها تفرعاته . وكل متكلم ينتهى أصلا لواحد من

وفى الحقيقة ، لها كان لصوت كل حرف عرسى
 خصائصه الصوتية الذاتية التى توجي بمعانيه ، فانه
 لا بد للانسان العربى بصورة مبدئية ان تتأثر نفسه
 بخصائص هذه الحروف عند التلفظ بها . فاذا كان فى
 صوت الحرف اهتزاز واضطراب كالهاء مثلا ، انعكس
 هذا الاهتزاز والاضطراب على نفس قائله وسامعه
 على حد سواء . ويكون ذلك أوضح ظهوراً ، اذا رافق
 مثل هذا الحرف حروف مناسبة ، وركبوا فى صيغة
 ملائمة ، ولا بد لقائل هذا الحرف ان تعانى جلته
 العصبية ، ذات الاهتزاز ، والاضطراب ، استمدادا
 للتلفظ به . على مثال ما أصاب مبدعه الاول ، ولو
 بانفعال مخفف ، آه ، أوآه .

وهكذا الامر مع بقية الحروف ، وانن :

لها كانت خصائص الحروف العربية هى وليدة
 مخارجها الصوتية على مدرج النطق ، وكان لكل
 انسان مخرج صوت معين على مدرج النطق ايضا،
 فان الانسان الذى ينطبق مخرجه الصوتى على
 مخرج أى حرف من الحروف العربية ، لا بد ان تتأثر
 شخصيته بخصائص ذلك الحرف بالذات .

فالفرد الذى يكون مخرج صوته العفوى المعتاد
 هاثيا مثلا ، لا بد ان تكون شخصيته منطبعة مسبقا
 بخصائص صوت هذا الحرف ، اضطرابا نفسيا ويأسا
 وحزنا دفينا ، وان يوحى صوته بالتالى بهذه المشاعر
 بالذات ، وهكذا الامر مع من كان مخرج صوته عينيا ،
 أو حاثيا ، أو جيبيا ، أو نونيا .. وما الى ذلك من
 المخارج الصوتية للحروف والنماذج الانسانية للأفراد.
 وهذه القاعدة الصوتية اللغوية ، هى أصدق ما تكون
 بين المغنيين والمرتلين .

بين التراث القديم والاسلوب العلمي المعاصر ،
للكشف عن خصائص الحرف العربي ، وعن مقومات
الانسان العربي .

فلقد عنانسي من هذه الدراسة ، أكثر ما عناني
جانباها الثقافي والقومي ، فتوخيت منها أول ما توخيت
أميرين اثنين :

١ - أن ألقى بعبء تعريف مفاهيمنا ، وتحديد
مضمونها الثقافي ، على عاتق قبضة من الحروف ، لا
يصعب استيعاب خصائصها . فاذا ما توصل الانسان
العربي الى الكشف عن جميع خصائص الحروف
العربية ومعانيها ، في محاولات لغوية مماثلة ، استطاع
أن يحرر لغته وفلسفته وأدبه ومفاهيمه من مختلف
الشوائب . ويحرر التراث العربي الاصيل من
ذخيله ومدسوسه ، يستطيع الانسان العربي أن
يستأنف مسيرته الثقافية بروح عصرية جديدة ، دون
أن يتنكر لمضمونه الأزلي ومقوماته القومية .

ب - أن أستنبط من الحروف العربية نهج
الانسان العربي في الحياة ، بقواعده التي أسس عليها
ذاته ، وأتمم تقاليده ، وبنى مؤسساته . فلربط
بين هذه القواعد وبين خصائص الحروف العربية
ومعانيها ، كحقائق راهنة لا مجال لتكارها ، نبتسك
باللب الاصيل ، ويتخلّى عن القشر المرحلي العارض .
وهكذا فالحروف العربية ، انما هي جذور
الانسان العربي في الطبيعة والتاريخ معا . انها
الجانبية اللامرئية التي تربطه بصميم امته وتجمع
بينه وبين اخوانه على سطوح مجتمعاتها .

ولهذا السبب بالذات ، قد أستهدفت الحروف
العربية منذ مطلع هذا القرن ، ولا تزال تستهدف

هذه المنحنيات التي تتحكم بحركاته الجسدية واليدوية
والوجهية ، وكذلك بالكتابة والرسم والرتمس
والرياضة والجنس ، وكافة النشاطات وأنماط
السلوك . وان القبائل ، وحتى الشعوب برمتها ، لا
تستخدم ، بشكل شبه حصري ، الا واحدا من منحنيات
(بكينج) (5) .

أسوق هذا الخبر (العلم نفسى - الصوتى) ،
للتدليل على ان ثمة علاقة أصيلة بين شخصية
الانسان ، وبين طابعه الصوتى ، ولا يهم كثيرا بعد
ذلك ، ان يكون ، ، او لا يكون ثمة علاقة ما بين
المخارج الصوتية للأفراد والشعوب ، وبين منحنيات
(بكينج) وان كنت لا أستبعدها .

وهكذا قد خصصت القسم الثالث من هذه
الدراسة ، وعنوانه (الحروف العربية والشخصية
العربية) ، لاستثمار خصائص الحروف العربية فى
الكشف عن الجوانب النفسية والاجتماعية والفنية
والاخلاقية فى الانسان العربي ، وعن مدى تجاوب
الحرف العربي مع مقومات الشخصية العربية ،
على حد سواء .

وهكذا بدأت دراستي عن الحروف العربية ،
من حيث انتهى أصحاب المدرسة اللغوية القديمة ،
وانتهيت بها عند أبواب المدارس اللغوية الحديثة ،
لم أتجاوز عتباتها الا قليلا ، ولكن صحابة مقولة
نظرية اللغة العربية ، فى زيتها المعصري المبتكر .

وأسي لأرجو ان تثير هذه الدراسة اهتمام
اللغويين من أصحاب المدرستين ، ليؤاخوا فى ذلك

نفقد بالتالي ارتباطنا ببيئتنا وأمتنا ، لنغترب في عقر دارنا غربة قاطمة ، لا لقاء معها ابد الدهر .

وعندئذ ، تزداد فرص بقاء ونماء جميع الكيانات السرطانية في جسم الوطن العربي العملاق ، بما يمكن اثارته وزرعه في روابطه وبين أجزائه من مختلف عوامل التفسخ ، ومن شتى ضروب التناقض والنزاع .

لحيلات مشبوهة من تهم التصور والمتم وانفراآت الرجعية والتخلف ، ليصار الى تبديلها بحروف لاتينية تارة ، وللاستماتة من النصى باللجات العابسة المحلية تارات آخر .

وعندما نتخلى عن حروفنا ، او نصحاتنا ، لابسد ان تتطع بذلك جنورنا التتانية والقومية معا ، وان

ثانياً: دراساتٍ تعريبيّةٍ ومعجميّةٍ

الصفحة

- 137 1 - وحدة المصطلح المالكي في القانون والاقتصاد
عبد العزيز بن عبد الله
- 151 2 - المصطلح الكيميائي في التراث العربي
د. جابر الشكري
- 163 3 - الالفاظ العربية بين المعنى اللفظي والدلالة
العكسية والاجتماعية
د. ابتسام مرهون الصفار
- 177 4 - عملية التعريب : الاساليب والمشاكل والحلول
د. محمود محمد الحبيب
- 194 5 - البنديجي ومعجمه « التقية في اللفه »
د. خليل ابراهيم العطية
- 203 6 - تعريب رموز وحدات النظام الدولي
مجمع اللفه العربية الاردني
- 209 7 - اللفه العربية ومصطلحات الحضارة الراهنة
سليم طه التكريتي
- 212 8 - تعليق على لفظة حضارية (الاسطراب)
احسان محمد جعفر

وَحدة المصطلح المالكي في القانون والاقتصاد

بكين شقي الفروبة

للأستاذ عبد العزيز بن عبد الله

الآن نماذج لما اهتم به هذا المذهب من اختيارات في قضايا مختلفة كالتوازل والوثائق والفتاوى ، ونستهدف بذلك استخلاص مصطلحات أصيلة ، ظلت أزيد من ألف عام قوام الوحدة اللغوية بين الشرق والغرب ، عملنا على ادراجها في معجنا الحديث حول الفقه والقانون (3) .

وقد عززنا هذا البحث بمصادر مختلفة ، يمكن أن يرجع اليها الباحثون في اللسانيات والفتاوى معا ، اشرفنا الى المطبوع منها وكذلك المخطوط مع بيان المكتبات العالمية التي تتوفر فيها دون اغفال الارقام والمصادر .

اذا تتبعنا المسار الذي نهجه المذهب المالكي بين المغرب الاقصى والخليج العربي ، مارا بالتشاد والسودان وبحر القلزم واليمن الى البصرة ، لاحظنا مظاهر مختلفة للوحدة الفكرية في مجال القانون والاقتصاد من خلال وحدة المصطلح في الفقه المالكي . وقد ألقينا منذ سنوات محاضرة في (أبو ظبي) ، بدعوة من (الديوان الاميري) ، حاولنا أن نبرز فيها الاسباب والظروف التي حدت الى ترصيص الوحدة بين الخليج والمحيط (1) . وقد سبق لنا أن نشرنا معجما للفقه المالكي (عربي - فرنسي) ابرزنا فيه خصائص المصطلح الفقه في شتى المجالات (2) . ونعطي

1) راجع العدد 15 ، ج 1 ، ص (211)

2) راجع العدد 16 ، ج 2 ، ص (399)

3) الذي أصدرنا منه لحد الآن الجزء الاول (في أربعة حروف من (A) الى (D)) ويتلوه تريبا الجزء الثاني الى حرف (G)

القضاء :

جامعة القرويين وهيئة العلماء فكان للقاضي بذلك دور سياسي هام لذلك كان تعيين القضاء يحاط بعناية خاصة . ولم يكن حكم القاضي خاضعا لمراجعة محكمة استثنائية عدا رفع التظلم الى السلطان بواسطة وزير الشكايات لجمع العلماء والنظر في قيمة التظلم فقط دون اصدار حكم جديد . وكان القاضي يتسم في غالب الاحيان بالنزاهة والعدل يحرزها ايمانه كما يكبحه الرأي العام .

وقضاء الجماعة بالمغرب يوازي منصب قاضي القضاة بالمشرق (7) ولم يطلق المغرب وصف القضاة على غير الحكام الشرعيين في حين اطلق احبانا خارج المغرب على الكتاب (8) وعلى التجار (9) . ومنذ عصر المرابطين كانت زعامة القضاء راجعة لقاضي الحضرة (اي مراكش) الذي كان عضوا في مجلس الشورى والذي أصبحت له سلطة كبرى على قضاة المغرب والاندلس ، وكانت هذه المشيخة تعطى احبانا لقاضي سبتة وطنجة او قرطبة من ذلك تولية هذا المنصب قاضي طنجة مروان بن عبد الملك بن ابراهيم بن سخون اللواتي (10) .

وكان للقضاة مستشارون في العهد المرابطي ، فكان ابن تاشفين اذا ولي احدا من قضائه يعهد اليه ان لا يقطع امرا ولا يبيت في امر الا بحضور اربعة من الفقهاء فبلغ الفقهاء في عهده مبلغا عظيما لم يبلغوا مثله في الصدر الاول من فتح الاندلس .

واصدر المولى محمد بن عبد الله ظهيرا امر فيه القضاة بكتابة الاحكام في كل قضية في رسمين ، يأخذ المحكوم له رسما يبقى بيده حجة على خصمه والمحكوم عليه رسما ، ومن حكم ولم يكتب حكمه ولم يشهد عليه المدول فهو محزول (11) . وكان المخزن يرسل الى كل قبيلة من يقوم باختبار قضاة البلدية قبل تعيينهم ، حتى لا يتولى سياسة الرعية غير الاكفاء ، وتسجل نتائج الامتحان في تقارير وبيانات ترفع الى

منصب ديني من متعلقاته الشورى وكان في كل عاصمة ولاية قاض لجماعة في عهد الموحدين وهو يتولى اختيار نوابه في مناصب القضاء المحلية وكان اتخليفة الموحد يمين قضاة الجماعة دون تدخل الولاة في كل من المغرب والاندلس وكان قضاة الاندلس انديلسيين في الغالب (1) .

وكان القضاء يتعطل مع العدل وانصاف الناس فقد مكث عمر بن الخطاب على القضاء طوال عهد أبي بكر الصديق ومكث سنة لا يأتيه رجلان (2) ولكن عادة الموحدين عندما كان ملكهم مبسوطة على تونس انهم لا يولون القضاء اكثر من عامين عملا بومية عمر بن الخطاب نفسه (3) . وذكر الأبي في شرح مسلم انه حين كانت قاعدة ملكة الموحدين مراكش كان القضاء انما ياتون لتونس منها (4) في حين كان قضاة المغرب يختارون من سوس أيام السعديين (5) . وخطة القضاء هي اعظم الخطط بالاندلس لتعلقها بأمور الدين وكون السلطان نفسه لو توجه عليه حكم حضر بين يدي القاضي وذلك في المدن الكبيرة ، اما في الصغرى فالحاكم الشرعي فيها هو المسدد، وقاضي القضاة كان يسمى ايضا قاضي الجماعة (6) .

وكان عدد القضاة نحوًا من خمسة عشر في مجموع المغرب وكان في كل من فاس ومراكش ثلاثة قضاة ولم يكن في القبائل سوى نواب عن القضاة اما في الجبال فان المعروف هو السائد عدا تحكيم الشرع احبانا ولم يكن اختصاصهم يتجاوز الاحوال الشخصية والالتزامات الناجمة عن الجنائيات الدموية مع رعاية اموال اليتامى ومراقبة العدول ورجال التوثيق والعلماء والاشراف ورجال الدين ووكلاء الضياع والمشرفين على الموارث (بوموارث) ونظار الاحباس والمساجد . وكان قاضي السماط بفاس يشرف على

(1) البيان المغرب ق 3 ص 129 و 231

(2) ابن الاثير ج 2 ص 161

(3) تاريخ الدولتين ص 44

(4) الاعلام للمراكشي (طبعة 1974) ج 1 ص 68

(5) تاريخ الدولة السعدية ص 25

(6) فتح الطيب ج 1 ص 103

(7) فتح الطيب ج 1 ص 338

(8) صبح الاعشى ج 5 ص 451

(9) البرد الموشى ص 7

(10) مشيخة عياض

(11) الاعلام للمراكشي ج 5 ص 123

السلطان ليصدر امره بالتنمين ، من ذلك ظهور صدر عام 1294هـ / 1877 م اعتمد على تقييد لاختبار عمال دكالة وقضاتهم واشياخهم (12) .

وقد لاحظ المولى اسماعيل جهل الكثير ممن رجال القضاء فأمر بحبس بعضهم ، ممن امتحنوا فتأكد جهلهم ، وسجنهم في مشور فاس الجديد حتى تعلموا ضروريات الاحكام وعزل الكثير منهم ، وقد أشار القادري في (الازهار الندية) الى هذا الحادث الذي حصره العلامة اكنوسى في قضاة البوادي (13) .

وكان ثلاثة قضاة يتناوبون على الرباط ، لكل واحد ثلاثة أشهر ، وهم الفقهاء محمد بن أحمد المغربي وعبد الله بناني ومحمد بن اليسع (14) ، وعندما ترجم ابن القاضي في درة الحجال (15) لأحمد بن محمد الطرون الفاسى ذكر انه كان قاضيا بفاس وأنه لم يكن من اهل العلم وإنما ولي لانهم كانوا يولون القضاء من يكون عليا وان لم يكن ذا علم ليكنف بما له عن اموال الناس وعن الرشا وقد توفي هذا القاضي المتول سنة 961 هـ / 1553 م . وكانت مجالات القضاء واصنائه مختلفة منها قضاء المساکر حيث كان ابراهيم بن يحيى قاضى المساکر في عهد ابي الحسن المريني ، كما كان محمد بن ابي عامر قاضى القضاة في المغرب وناظر المسکر (16) . وقد عمل قضاة مغاربة على التوالي بالمغرب والاتدلس من بينهم علي بن عبد الله بن محمد الفاسى الذي ظل قاضيا بشاطبة الى 622 هـ / 1225 م ثم انتقل الى مراكش وحضر مجلس ابن القطان ثم استقضى بشرش وجبان وقرطبة وسبتة وفاس ثم اغمات وريكة ثم تولى قضاء النساء بمراكش وحفظ عن ظهر قلب صحيح البخاري (17) . وقد استقضى ائنتيه عمر بن عبد الله بن محمد الاغماتى المحدث النحوي بفاس وهو ابن عشرين سنة ، وكذلك الفقيه عمر بن محمد بن حم كبريس الدمناتى الذي استقضى بقصبة مراكش وهو ابن عشرين سنة أيضا ، ومحمد السعيد بن

محمد بن عمر بن العياش قاضى الجماعة بمراكش استقضا المولى سليمان بسجلماسة وهو ابن خمس وعشرين سنة (18) .

أما الاستئناف فقد كان في عهد الحماية نوعين : ابتدائى لاحكام قضاة البوادي وما في حكمها من احكام قضاة صغار المدن ويكون عند قاضى المدينة بمنطقته المعينة في ظهير تنظيم « العلوية » خاصة في مكناس والرباط والدار البيضاء أو عند أحد قضاتها إن تعدد كما في قضاة فاس ومراكش .

والنوع الثانى وهو النهائى تأسيس مجلس شرعى أعلى بإبلاط الملكى يتركب من رئيس وأربعة أعضاء من العلماء وثلاثة نواب وستة كتاب وثلاثة خدما . وهو يتلقى استئناف احكام قضاة قواعد المدن .

وكان القضاء يحظى بثقة الشعب لحسن الاحتراف فقد تحدث (جان موكى) في رحلته الى المغرب (1601 — 1607) عن قضاة المغرب فومعه سرعة وعدالة البسطرة للتضائية عندهم (19) .

كما ذكر (لودفيك) Ludovic de campou (20) ان كل نخذة من القبائل المغربية كانت تشمل على مكان يستخدم كمسجد وكان آخر لتحفيظ القرآن وقاض يصدر الاحكام .

ومن المعينات التى صدرت في الموضوع :

- (تبصرة الحكام في اصول الأفضية ومناهج الاحكام) لابن فرحون ابراهيم بن علي اليميري (مكتبة تطوان (1405) : ثلاث نسخ) .
- (جمهرة من حكم فاس وقضى في الدولة العلوية وجرى به القضاء) (رجز في 300 بيت) .
- لابى التاسم الزيتى . نسخة بالخزانة الفاسية والمكتبة الاحمدية السودية بفاس وخم 2348 .

(12) (العز والصولة لابن زيدان ج 2 ص 8)

(13) (الاستقضا ج 4 ص 31) .

(14) (اتحاف اعلام الناس ج 3 بعد ص 305)

(15) ج 1 ص 89

(19) الوثائق الفيسية في تاريخ المغرب — دوکاستر — سى 1 — السعديون ج 2 ص 400)

(20) في كتابه « المغرب المعاصر امبراطورية تنهار » ص 114 .

تاريخ القضاء بشمال المغرب على عهد الحماية
(الحسن بن عبد الوهاب) . مجلة البحث
العلمي - عدد 9 (1966)

القضاء والمدول بالمغرب (تاريخ تطوان ج 1
ص 137) .

J. Caillé - Organisation judiciaire et procédure
marocaines - Libr. gén. de droit et de juris.
1948 (459 p.)

— القضاء في جنوب المغرب 1924- R. Montagne

الإفتاء:

ظهرت خطة المفتي بالمغرب في عهد محمد
الشيخ السعدي اقتباسا من الاتراك وقد
تقلد منصب الفتوى بفاس في عهد محمد الشيخ
محمد بن عبد الرحمن بن جلال المرراوي
التلمساني نزيل فاس كما تقلدها بمراكش أيام
عبد الله الغالب محمد شقرون بن هبة الله الوجدجي
التلمساني (الدوحة ص 90 و 86) وكان يعتبر من
أسمى الوظائف لا يرخص فيه الا لذوي المروءة والدين
ومن « طرا عليه أو ظهر منه ما يخالف ذلك يمسزل
ويضرب على يده وربما عوقب ونكل به » .

(راجع نصوص ظهائر في الموضوع في (المرز
والصولة) لابن زيدان ج 2 ص 55 حيث امر المولى
عبد الرحمن مثلا برقع يد المفتين عن الفتوى بطنجة
نظرا لفساد الاحكام والتلبيس على العوام وذلك في
25 رمضان 1274 هـ) .

وكان (مجلس المفتين) بالمغرب يعمل تارة
كحكمة عليا للنقض والابرام وأخرى كهيئة استئنافية،
وهذا المجلس يجتمع السلطان عند الحاجة للنظر
في قضية فقهية قبل احالتها على محكمة جديدة . وكان
السلطان يصدر الاحكام مرة في الشهر ويتلقى طلبات
الاستئناف ويتقاضى امامه الاجاب أكثر من رعاياه
وأول قاض بعد السلطان هو المفتي الذي يتلقى
طلبات الاستئناف وكان هناك ثلاثة مفتين بمراكش

— (تكميل قضاء فاس على ما في جذوة الاقتباس)
(الخزانة الملكية = خم 4792) .

— « جواب في الفرق بين خطة القضاء وخطة
الولاية وخطة الحسبة باعتبار عرف زماننا »
لأحمد بن خالد الناصري (الخزانة العامة
بالرباط (خع) 2295 د (م = 6 - 8)) .

— (آفاق الشمس وأعلاق النفوس في الاقتضية
النوبية) لأحمد بن عبد الصمد الخزرجي
الفاسي .

— (الأحكام من أي خير الأنام) للحسن بن علي
بن القطان . جمعه بإمر السلطان عمر المرتضي
للموحدي .
خزانة القرويين (حق) ل 292/40 .

— (منظومة في أدب القضاء وبيان صنعة القضاء)
(272 بيتا) أسماها (حديقة القضاء) (خع
1862 د) (م = 1 - 6) للعربي بن عبد
الله المستاري رئيس البحر في عهد سيدي محمد
بن عبد الله .

— قضاء ركب الحجيج .
تقد يوسف الريني الفقيه محمد بن زغبوش
قضاء ركب الحجيج عام 703 هـ / 1303 م (21) .

— (المهذب الزائق في تبخير الناس من القضاء
وأهل الوثائق) . المتحف البريطاني (عدد 242) .
تلادة التسجيلات والمعقود وتصرف القاضى
والشهود كلاهما لموسى بن عيسى المغفلى
(791 هـ / 1389 م) .

— اصلاح القضاء بالمغرب أيام السلطان سيدي
محمد بن عبد الله « حصول المسرة والأتمس في
بيان مدارك الفصول الخمس » . خع 330 د
(م = 103 - 124) . دراسات مغربية : عن
تاريخ القضاء بالمغرب (عبد الله الجراري) .
مجلة دعوة الحق - عدد 1 (1965) .

21 « تاريخ ابن خلدون ج 7 ص 226) .

- وفاس وتارودانت (1) . وقد شملت عناية ملوكناسا العلويين الأماجد رجالات الامتاء في كافة أنحاء العالم الإسلامي وخاصة في الحرمين الشريفين ، فقد حبس السلطان سيدي محمد بن عبد الله أموالاً طائلة على مفتي المذاهب الأربعة وطلبتهم بالمدينة المنورة كما حبس مالا عظيما على قرآء الفتوحات الإلهية والجامع الصحيح من أهل المذاهب الأربعة بالمدينة المنورة (2) . وقد كان لكل حاضرة أو إقليم رجل افتاء . فالسعوديون لم يتأثروا بالنظام التركي عندما نصبوا مفتيا على فاس هو العلامة محمد بن عبد الرحمن بن جلال المغراوي التلمساني (3) . وكان المفتي يتلقى الاسئلة والاستفسارات والاستيضاحات في القضايا الفقهية من مجموع البلاد ، مثال ذلك الفقيه محمد بن إبراهيم السباعي الحاجي رئيس قلم الفتوى بمراكش الذي كانت ترد عليه الاسئلة من كافة أنحاء المغرب فيجيب عنها بما يبهر العقول بسدون تسويد لكثرة تحصيله واستحضاره ولا يبقى عنده منها نسخة ، ولو جمعت فتاويه لأريت على (نوازل الميعار) ، كان يقول (نحن رجال وهم رجال (4)) . ولمحمد الاغلالى (القواعد التى يجب على المفتى العمل بمقتضاها) (307 من الابيات) خع 1242 د .
- وكذلك (أرجوزة فيما تجب به الفتوى وما يعتمد من الكتب) لمحمد النايفة الشنجييطى ، المطبعة الملكية بفاس (1282 هـ / 1865 م) .
- ومن تصدر للافتاء بالمغرب العلماء :- ابراهيم ابن عبد الملك الضرير السوسي ، كان خرازا (1316 هـ / 1898 م) .
- مفتي سجلماسة ابراهيم بن هلال بن علي الصنهاجى الشترائى (903 هـ / 1497 م) .
- ابراهيم السرعيني الخلوفى .
- المفتى أبو بكر بن مسعود المراكشى شيخ المالكية يدمشق (1032 هـ / 1622 م) .
- ابن علي أبو القاسم الحسائي الهبطي المفتي (956 هـ / 1549 م) (الجنوة ص 319) .
- المفتى أحمد بن الحاج العباس الشراييسي (1329 هـ / 1911 م) .
- أحمد بن ابي مالك عبد الواحد بن أحمد السجلماي مفتي مراكش (الاعلام للمراكشى ج 2 ص 44) .
- أحمد بن علي السالمي مفتي مراكش (أحمد بن محمد بن علي حسب الحضيكي) .
- المفتي أحمد بن قاسم بن عبد الرحمن القباب قاضى جبل طارق ومشاور الدولة (779 هـ / 1377 م) — له فتاوى مدونة في (معيار الوئشريسي) .
- أحمد بن القاضي التلمساني شاعر الرباط ومفتيه (توفى حوالى 1180 هـ / 1766 م) ، (الاغتباط ج 1 ص 20) .
- مفتي فاس أحمد بن محمد بن أحمد بن يحيى المقرئ نزيل فاس والقاهرة (1041 هـ / 1632 م) وهو صاحب (نفع الطيب) لسه فتاوى نقلها صاحب (الميعار) .
- المفتى أحمد بن يحيى الوئشريسي الفاسي (914 هـ / 1508 م) له (الميعار المغرب والجامع المغرب عن فتاوى أهل أفريقيّة والاندلس والمغرب) طبع على الحجر بفاس عام 1315 . خع 400 د (5 مجلدات) .
- المفتى الحسن بن أحمد بن عبد الرحمن الهزميري .

(3) (الدوحة ص 90)
(4) الاعلام للمراكشى ج 7 ص 193 . الرباط .

(1) فى رحلة . R.O.C . (س . ا . — السعوديون —
1925 ج 2 ص 397) بالنسبة لعام 1609 .
(2) (الاتحاف ج 3 ص 233)